الفصل السادس

إسهام القيم الدينية في التفاهم ودورها في إصلاح العالم الممزق

- الحضارة المعاصرة بين القانون والأخلاق
- الحلول العقلية اللاأخلاقية: مصابيح كاذبة مؤقتة
- الحل الإسلامي الأخلاقي في مصباح حقيقي دائم للإنسانية
- جوهر الأخلاق وأزمة الإنسانية المعاصرة

obeikandl.com

obeikandl.com

إسهام القيم الدينية في التفاهم ودورها في إصلاح العالم الممزق

الحضارة المعاصرة بين القانون والأخلاق

من البدهي أن كل الدول لها قوانين وتشريعات، وإلا لما سميت دولاً، ولديها قضاء وشرطة وجيش وأجهزة مساعِدة.

ومع ذلك تنتشر الجرائم وترتفع نِسَب تَعاطي المخدرات، وينتشر الكذب وتنهار الحياة الاجتماعية... وكل ذلك يقع مع وجود تطور في الأجهزة والمعدات وقوى الرصد والأموال التي تغدق على هذه الأجهزة.

وهذا يدل على أنه ليس بالقانون وحده يستقيم أمر الإنسانية، وأنه لابد من الدين والأخلاق والضمير.

ومن الجدير بالذكر أن هناك جرائم كثيرة يرفضها الدين والأخلاق ويقرها القانون، وذلك مثل جريمة الزنا عند التراضي، وجريمة شرب الخمر، وأخيراً وليس آخراً، جريمة تقنين الشذوذ الجنسي، وإباحة زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة. مع أنها عوامل هدم للمجمع الإنساني، تمتد تحت رعاية القانون.

وقد أصبح العالم ينقسم قسمين؛ فهناك قسم أكثره من الجنوب يرفض هذه الجرائم؛ لأنه خاضع للدين والأخلاق بدرجات متفاوتة، وهناك القسم الشمالى من العالم؛ الذي يسمى بالعالم المتقدم ويقبل هذه الجرائم ويحميها، بل هناك ما هو أطرف من ذلك؛ حيث تسمح معظم الولايات في أمريكا بهذه الجرائم؛ بينما تتحفظ ولايات أخرى على بعضها؛ مما يجعل العالم ممزقاً بين من يميلون إلى الدين والأخلاق، وبين من تستعبدهم مفاهيم مثل حرية الإنسان؛ حرية منفلتة حيوانية، ومثل حق المرأة والرجل في التصرف في جسديهما!!.

ومما يدل على أهمية قيادة الدين والأخلاق للحياة أن جميع الناس في الجنوب والشمال يؤمنون بخطر هذه الجرائم على الإنسانية، أفرادا أو جماعات أو حضارات، ومع ذلك ينبري كثير منهم للدفاع عنها وحمايتها باسم القانون، وكل هذا يُثبت ضرورة الدين والأخلاق، حاكمَين للحياة الإنسانية، وأن على القانون أن ينسجم معهما، كما أن على العقل النظيف أن يؤيد القانون في هذه الحالة، وأن يقف دائما مع الدين والأخلاق بالدرجة الأولى.

يقول المفكر الإسلامي الهندي الكبير وحيد الدين خان: إن القانون لا يستطيع أن يستقل بذاته في أي وقت من الأوقات، بل لابد له أن يقترن بالأخلاق.(١)

ويقول أيضاً هذا المفكر الهندي الكبير: إن الحل الوحيد للمشكلة الإنسانية هو تطبيق الشرع الإلهي الذي يمنحها جميع العناصر الأساسية الضرورية، فهذا الشرع يضع جوانب أساسية جذرية، ويترك الباب مفتوحاً للاجتهادات المختلفة حسب الزمان والمكان، ويحدد العناصر الأساسية وغير الأساسية بالنسبة للدساتير، ثم هو -إلى جانب ذلك- يتصف ويتمتع بدليل الترجيح والتفصيل لصالحه، حيث إنه من عند الله ﷻ، ومن ثم يجب أن نعده الكلام الأخير.(٢)

وهكذا، لا يمكن أن تقوم الحياة الإنسانية الصحيحة إلا بالحقائق الأخلاقية التي تكون تعبيراً عن إيمان حي صحيح، وتسمو بصاحبها عن الأنانية، والذاتية المغرقة، وتفرض عليه تبعات وسلوكيات قد تتناقض مع مصالحه الشخصية ورغباته وأهوائه، وتجعله يتحرك بضميره الذاتي أكثر مما يتحرك بالقانون!!

وإلى جانب هذا، فإن الأخلاق المنبعثة عن عقيدة صحيحة تتجاوز الأفكار الجامدة، والمفاهيم المجردة التي لا حياة فيها، وتقود صاحبها إلى التعرف على الضمير الأخلاقي الذي يعيش فيه، وتدفعه إلى الترجمة العملية عن هذا الضمير، ولهذا فهو يتعرف -أيضا- على صوت الحق المطلق، ويترجم في قلبه الرسالة السماوية لخالقه.. ولهذا نجده يلمح الفكرة الحقيقية الحية والمؤثرة، ويشعر أنه

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان ص٢٢٥، نشر المختار الإسلامي، ط١، ١٩٧٧م القاهرة.
(٢) المصدر السابق ص٢٢٣.

مرتبط بها ارتباطاً عضوياً، ويستمد منها على الدوام القوة والنور، ويشعر نحوها بأعمق مشاعر الاحترام؛ ممزوجة بأرق مشاعر الحب. هذه الشعلة العاطفية التي تحرك إيمانه العقلي؛ تغذي في الوقت نفسه "طاقاته الخلاقة"، وهو حين يتوقف أو يسقط لا ييأس.. إنه يعاود الوقوف على قدميه، ومتابعةَ المسيرة؛ معتمداً على تلك القوة الهائلة التي يستمد منها العون.. وبذلك يمكن القول: إن الأخلاق لا تجد مكاناً أكثر خصوبة تزدهر فيه من ضمير المؤمن.

إن القيم الأخلاقية حين تمتزج امتزاجاً كاملاً مع الأوامر والنواهي الشرعية سيعملان معاً على الوصول بالإنسان إلى أعلى درجات الإنسانية، وذلك عن إيمان داخلي، لا عن إرغام "قانوني" خارجي؛ فالالتزام الخلقي المنبعث عن عقيدة يستبعد الخضوع المطلق مثلما يستبعد الحرية الفوضوية، ويضع الإنسان موضعه الحقيقي؛ بين المادة الصرف، والروح الصرف.[1]

ومن منطلق تحديد المصطلحات والتصورات فقط؛ نذكر أننا نقصد بالأخلاق ذلك الالتزام الإرادي الذي ينبعث في أعماق الفرد نتيجة التربية الإسلامية التي تجعل الإنسان يلتزم بالشرعية وبالقيم السامية؛ ليس خضوعا للعقابات والحدود الشرعية، ولكن مراقبة لله وحباً له، وخوفاً من عقابه الأخروي، ورغبة في الثواب وفي الحياة الآخرة. وإذا كان علم الأخلاق يتعلق موضوعه بالسلوك البشري فإن الإسلام لا يرضى بالسلوك المجرد، بل يعطي أهمية خاصة للباعث: "النية" و"الهدف" بالرؤية الإسلامية، فيرى أنه "علم يهتم بدراسة قواعد السلوك البشري وتطبيقاته في ظل أصول عقدية وغايات حددتها الشريعة، كما حددت ضوابط هذا السلوك، بما يجعل هذه الضوابط معايير عامة لا تختلف في زمان أو مكان أو أشخاص" وهو بهذا علم معياري يجمع بين النظر والعمل وبين المثال والواقع.[2]

والأخلاق -بهذا المفهوم الإسلامي- ذات صلة وثيقة بالتربية، بل إن التربية

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، ط٦، ١٤٠٥ هـ، دار البحوث العلمية، الكويت.

(٢) الأخلاق بين العقل والنقل، أبو اليزيد العجمي ص٢١، دار الثقافة العربية، ١٩٨٢م، القاهرة.

والتعليم هما أبرز وسيلتين لتحويل الأخلاق إلى سلوك تلقائي يصدر دون معاناة.. ويبرز عمق الصلة بين الأخلاق والتربية على أساس أن الوظيفة الأولى للمربي إنما هي العمل على ضرورة وعي الشخصية الإنسانية بالقيم الخلقية.

وكلما زاد التزام المربي نفسه بالقيم الخلقية كان تأثيره الخلقي على الناشئة أقوى وأفعل، ذلك لأنه لا انفصال بين الأخلاق في إطاريها النظري والعملي.. كما أن هذا الارتباط بين النظر والعمل في مجال الفعل الخلقي يجعل من القيمة الخلقية سلوكاً للحياة ومنهجاً للتعامل البشري.(١)

ومن الجدير بالذكر أن العلاقة بين الإنسان والأخلاق لم تقم على الإلزام (الإجبار) أو "الاختيار" بل قامت على ما هو أهم من ذلك وهو "الحب" في الله، والرغبة في إرضاء الله، بأداء الأمر، وبالإحسان فيه، أي إتقانه ومراقبة الله فيه...

ومن المضطرد في القرآن أن تأتي الأوامر والنواهي في سياق الحب من الله وعدم الحب من الله... ففي الأمر بالإحسان لا يأتي الأمر مجرداً وإنما يأتي:

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(البقرة:١٩٥).﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(آل عمران:١٣٤). ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران:٧). ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(الشورى:٤٠).

وفي الحث على التقوى يرد التعبير القرآني في سياق الحب:

﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران:٧٥). ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(التوبة:٤).

وفي الحث على التوكل يقول الله تعالى في القرآن: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران:١٥٩).

وفي الحث على الصبر: ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

---

(١) الأخلاق، سليمان الخطيب ص٢١، ١٤٠٩هـ، القاهرة.

وفي النهي عن الفخر والكبر: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾(النساء:٣٦).

وفي النهي عن الخيانة: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾(النساء:١٠٧) ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج:٣٨).

وفي النهي عن الفساد يقول الله تعالى: ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(البقرة:٢٠٥) ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(المائدة:٦٤).

وفي الأمر بالتوبة والتطهر يأتي التعبير القرآني: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(البقرة:٢٢٢) ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾(التوبة:١٠٨).

وفي النهي عن الاعتداء: ﴿وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٩٠) ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(الأعراف:٥٥)

وهذا الأسلوب في الأوامر والنواهي الأخلاقية القائمة على الحب وعلى النية الحسنة والهدف النبيل خصيصة أخرى تسمو بالأخلاق إلى أرفع المراتب، وتجعلها فوق العلائق القانونية والنفعية والشخصية... إنها "علاقة حب" في الله...

ومن هذه العلاقة السامية تترشح الأخلاق بأزكى آيات السمو، وتصل إلى أعلى مستوى أخلاقي يستطيع الإنسان أن يصل إليه.

لقد كان الأستاذ سعيد النورسي مستوعبا لهذه الرؤية الإسلامية لمصطلح القيم الأخلاقية، كما كان مستوعبا للتأصيل القرآني لها؛ وهو التأصيل المستقى من الآيات القرآنية السابقة وغيرها، مما هو مبثوث في سور القرآن الكريم كلها، وفي الأحاديث النبوية أيضا.

ونحن بدورنا نعالج -انطلاقا من هذه الرؤية الإسلامية لمصطلح القيم الأخلاقية- موقف بديع الزمان سعيد النورسي من "إسهام القيم الدينية في التفاهم، ودورها في إصلاح عالمنا الممزق"!!.

الحلول العقلية اللاأخلاقية: مصابيح كاذبة مؤقتة

منذ قرنين من الزمان، والحضارة الأوربية -وأمريكا جزء منها- تطرح نفسها حلا قاهرا ضروريا للإنسانية، على أساس أنها تملك "القوة" وتملك "العقل" وأنها التي سبقت في مضمار التقدم الحضاري بمعناه المادي والشيئي

ولا أحد يجادل في أسبقية الحضارة الأوربية خلال القرنين الأخيرين في مجال القوة والعقل، وما يتولد عنهما من سبق في الاختراع والتقنية والنظم!!

لكننا كنا نأمل أن تملك أوربا قدرة نقدية تناقش من خلالها مسيرتها الحضارية، لتعرف -في المقابل- تلك السلبيات التي تراكمت على الطريق، وكادت تقتل في الإنسان معانيه الإنسانية والأخلاقية.. لقد طار الإنسان في الأجواء، لكن قلبه وضميره وروحه قد انغرست في الوحل... وأصبحت ترابية أرضية لا تستطيع أن ترنو إلى ما فوق المادة والمصلحة الذاتية، فضلاً عن أن تنظر إلى السماء، وتجمع بين البصر والبصيرة والعقل والجسد!!

وفي المقابل لم يرتفع المسلمون -إلا في حالات خاصة- إلى المستوى الذي يستطيعون منه أن يحاوروا أوربا محاورة ندّية -على قدم المساواة- ليبصّروها بعيوبها التي توشك أن تقضي بها على الإنسان، ولا سيما وهي القائدة -بل والمسيطرة- على الإنسانية منذ قرنين، مع أن لدى المسلمين أدلة دامغة من داخل البناء الحضاري الأوربي نفسه؛ ذلك البناء الذي أفرز حربين عالميتين قضتا على عدد من البشر يفوق كل ضحايا الحروب السابقة في التاريخ الإنساني كله، وأما الأموال التي أنفقت فيها فقد كانت كفيلة بإسعاد كل بيت في الأرض من الناحية المعاشية!!

يضاف إلى ذلك انتشار النظريات العنصرية، والصراعات القومية، والمذاهب الفوضوية والعدمية، والمخدرات والشذوذ الجنسي والزنا والاغتصاب بمعدلات نموّ متزايدة تهدد الحضارة الأوربية -أولاً- والإنسانية كلها ثانياً...

لقد كان أكثر المسلمين يشعرون بدونية وانهزامية أمام التفوق الطاغي

للحضارة الأوربية في عالم التسليح والتقنية والاختراعات.. ولا يستطيع بعضهم -إلا على استحياء أو بنوع من الرفض الكامل أو الحماس الانفعالى غير المقبولين- مناقشة الحضارية الأوربية في جوانبها السلبية بندّية وعلمية ورؤية إنسانية ثاقبة.

لكن بديع الزمان سعيد النورسي قد ارتفع إلى هذا المستوى النادر، وناقش الحضارة الأوربية مناقشة العالِم والطبيب الصريح المحايد قائلاً:

يا أوربا التي نأت عن النصرانية وابتعدت عنها، وانغمست في السفاهة والضلالة! لقد أهديتِ بدهائك الأعور كالدجال لروح البشر حالة جهنمية، ثم أدركت أن هذه الحالة داء عضال لا دواء له؛ إذ يهوي بالإنسان من ذروة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج عندك أمام هذا الداء الوبيل إلا ملاهيك الجذابة التي تدفع إلى إبطال الحس وتخدير الشعور مؤقتا، وكمالياتك المزخرفة وأهواءك المنومة.. فتعساً لك ولدوائك الذي يكون هو القاضي عليك..

نعم، إن ما فتحته أمام البشرية من طريق، يشبه هذا المثال المذكور.

يا أوربا الثانية الفاسدة (أي أوربا التي تركت المسيحية والقيم) إنك تستندين إلى أسس واهية نخرة؛ فتزعمين أن كل كائن حي مالكٌ لنفسه، ابتداءً من أعظم ملك وانتهاء إلى أصغر سمك، كل يعمل لذاته فقط ولأجل نفسه فحسب، ولا يسعى أحد إلا للذاته الخاصة، ولأجل هذا له حق الحياة، فغاية همته وهدف قصده هو ضمان بقائه واستمرار حياته.[1]

ثم إنك ترين "قانون التعاون" جاريا فيما بين المخلوقات، امتثالا لأمر الخالق الكريم الذي هو واضح جلي في أرجاء الكون كله كإمداد النباتات للحيوانات، والحيواناتِ للإنسان، ثم تحسبين هذا القانون والسنة الإلهية وتلك التجليات الكريمة الرحيمة المنبعثة من ذلك التعاون العام جدالاً وخصاماً وصراعاً حتى حكمت ببلاهةٍ أن الحياة جدال وصراع!.

(١) اللمعات، بديع الزمان النورسي.

فيا سبحان الله!! كيف يكون إمداد ذرات الطعام إمداداً بكمال الشوق لتغذية خلايا الجسم جدالاً وخصاماً؟ بل ما هو إلا سنة التعاون، ولا يتم إلا بأمر رب حكيم كريم.[1]

وإن ما تستندين إليه من "أن كل شيء مالك لنفسه" واضح البطلان، وأوضح دليل عليه هو أن أشرف الأسباب وأوسعها إرادةً واختياراً هو الإنسان، والحال أنه ليس في يد اختياره ولا في دائرة اقتداره مِن أظهر أفعاله الاختيارية -كالأكل والكلام والتفكير- إلا جزءٌ واحد مبهم من بين المائة؛ فالذي لا يملك واحداً من المائة من مثل هذا الفعل الظاهر كيف يكون مالكاً لنفسه؟!.

فيا أوربا! ما ورطك في هذا الخطأ المشين إلا دهاؤك الأعور؛ أي ذكاؤك المنحوس الخارق؛ فلقد نسيت بذكائك هذا ربَّ كل شيء وخالقه، إذ أسندت آثاره البديعة إلى الأسباب والطبيعة الموهومة، وقسمت ملكَ ذلك الخالق الكريم على الطواغيت التي تعبد من دون الله.. فانطلاقاً من هذه الزاوية التي ينظر منها دهاؤك الأعور؛ يضطر كل ذي حياة، وكل إنسان أن يصارع وحده مالا يعد من الأعداء، ويحصل بنفسه على ما لا يحد من الحاجات؛ بما يملك من اقتدار كذرَّة، واختيار كشعرة، وشعور كلمعة تنطفئ، وعمر كدقيقة تنقضي؛ مع أنه لا يكفي كل ما في يده لواحد من مطالبه.[2]

إن دهاءك المظلم قد قلب نهار البشرية ليلاً، ذلك الليل البهيم بالجور والمظالم؛ ثم تريدين أن تنوري ذلك الظلام المخيف بمصابيح كاذبة مؤقتة!.. هذه المصابيح لا تبتسم لوجه الإنسان، بل تستهزئ به، وتستخف بضحكاته التي يطلقها ببلاهة؛ وهو متمرغ في أوحالِ أوضاع مؤلمة مبكية!.. فكل ذي حياة في نظر تلاميذك مسكين، مبتلى بمصائب ناجمة من هجوم الظلمة، والدنيا مأتم عمومي، والأصوات التي تنطلق منها نعيات الموت، وأنات الآلام، ونياحات اليتامى.

---

(١) المصدر السابق ص١٧٩، ١٨٠.

(٢) المصدر السابق ص١٨٠.

إن الذي يتلقى الدرس ويسترشد بهديك يصبح "فرعوناً" طاغية.. ولكنه فرعون ذليل، إذ يعبد أخس الأشياء، ويتخذ كل شيء ينتفع منه رباً له.

وتلميذك هذا "متمرد" أيضاً.. ولكنه متمرد مسكين، إذ لأجل لذة تافهة يَقبل قَدم الشيطان، ولأجل منفعة خسيسة يرضى بمنتهى الذل والهوان... وهو "جبار" ولكنه جبار عاجز في ذاته؛ لأنه لا يجد مرتكزاً في قلبه يأوي إليه.[1]

إننا لا نجد في الحقيقة وصفاً دقيقاً للحالة الحضارية الأوربية يرقى إلى هذا المستوى البياني والتحليلي العميق الذي وصل إليه الأستاذ النورسي!!.

الحل الإسلامي الأخلاقي في مصباح حقيقي دائم للإنسانية

وفي مقابل تلميذ أوربا المقهور داخلياً على هذا النحو -وإن بدا ظاهره غير ذلك- يبين النورسي خصائص تلميذ القرآن.. الإنسان المسلم الذي من المفروض فيه أن يجمع بين العقل والقلب، والمادة والروح، والضمير والأخلاق.

إن النورسي يصف هذا الإنسان "تلميذ القرآن" قائلاً: إن التلميذ المخلص الخالص للقرآن الكريم، هو "عبد" ولكنه لا يتنزَّل لعبادة أعظم مخلوق؛ فهو "عبد عزيز" لا يرضى حتى بالجنة؛ تلك النعمة العظمى غاية لعبوديته لله،[2] (والمقصود أنه يسعى إلى رؤية الله بعد دخوله الجنة، وأنه لا يؤثر مصالحه على الآخرين).

وهو "لين هين"، ولكنه لا يَذلّ لغير فاطره الجليل، ولغير أمره وإذنه؛ فهو صاحب همة عليا، وعزيمة صادقة.

وهو "فقير"، ولكنه مستغنٍ عن كل شيء بما ادَّخر له مالكه الكريم من الثواب الجزيل.

هو "ضعيف" ولكنه يستند إلى قوة سيده المطلقة.[3]

ويقدم النورسي توضيحاً أكثر لهذه المقارنة بين تلميذ الفلسفة والحضارة الأوربية، بين إنسان وعبد "الفلسفة القرآنية" فيقول:

---

(١) المصدر السابق ص١٨٠-١٨١.

(٢) المصدر السابق ص١٨١.

(٣) المصدر السابق ص١٨١.

إن تلميذ الفلسفة يفر من أخيه أثرة لنفسه، ويقيم عليه الدعوى، أما تلميذ القرآن فإنه يرى جميع عباد الله الصالحين في الأرض والسموات إخواناً له، ويشعر من أعماق روحه بأواصرِ شوق تشده نحوهم؛ فيدعو لهم دعاء خاصاً نابعا من صميم قلبه: "اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات"؛ فهو يسعد بسعاتهم. إن القرآن الكريم يمنح تلاميذه نماء سامياً للروح، وانبساطاً واسعاً لها. وهكذا؛ فالحقائق التي تراها الفلسفة السقيمة الأوربية بدهائها الأعور مشوهةً زائفة؛ يراها الهدى القرآني، واضحة جلية؛ ذلك النور الذي ينظر إلى كلام العالمين معاً بعينين براقتين نافذتين إلى الغيب، ويشير بكلتا يديه إلى السعادتين.[1] سعادة الدنيا والآخرة معاً، وسعادة العقل والروح معاً، وسعادة الفرد والجماعة معاً، تكاملية لا صراعية، وبحب لا بمصلحة، وبإيمان قلبي لا بمجرد سلوك ظاهري.

جوهر الأخلاق وأزمة الإنسانية المعاصرة

كانت لفتةً رائعة من بديع الزمان سعيد النورسي إشارتُه إلى أنَّ الصدق هو "أسّ الإسلام". فهذا يعني أن "الصدق" هو "جوهر الأخلاق"؛ شريطة أن يكون صدقاً مع الله ومع النفس ومع الناس؛ أي كاملاً منسجماً مع الفطرة والعقل الصحيح والدين الحق.

ولعله لهذه المكانة "للصدق" كان الشرطَ الأول من الشروط التي يجب أن تتحقق في الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام-، ولهذا أيضاً كان الرسول محمد ﷺ يعرف "بالصادق الأمين"، وكانت هذه الصفةُ الأخلاقية الرفيعة أولَ ركن اعتمد عليه وهو يخبر أهل مكة بأن الله أرسله إليهم... وقد شهدوا له قائلين: "ما جربنا عليك كذباً قط"!!

ومن خلال هذا الرصد الديني والتاريخي، ومن خلال الرصد المضاد له، والذي تمثله حضارة العصر القائمة على "فن الكذب" سياسياً وإعلامياً واجتماعياً؛ ذهب النورسي يحدد مكانة الصدق قائلاً:

---

(١) المصدر السابق ص١٨٣.

"لقد علّمتني زبدةُ تتبعاتي وتحقيقاتي في الحياة الاجتماعية أن "الصدق" هو أسّ الإسلام، وواسطة العقد في سجاياه الرفيعة، ومزاج مشاعره العلوية؛ فعلينا إذاً أن نحيي الصدق -الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية- في نفوسنا، ونداوي به أمراضنا المعنوية.

أجل، إن الصدق هو عقدة الحياة في حياة الإسلام الاجتماعية، أما الرياء؛ فهو نوع من الكذب الفعلي، وأما المداهنة والتصنع؛ فهما كذب دنيء مرذول، وأما النفاق؛ فهو كذب ضار جداً، والكذب نفسه هو افتراء على قدرة الصانع الجليل.

إن الكفر بجميع أنواعه كذب، والإيمان إنما هو صدق وحقيقة.

وعلى هذا؛ فالبون شاسع بين الصدق والكذب بُعدَ ما بين المشرق والمغرب، وينبغي ألا يختلط الصدق والكذب اختلاط النور والنار، ولكن السياسة الغادرة والدعاية الظالمة قد خلطتا أحدهما بالآخر، فاختلطت كمالات البشرية بسفسافها ونقائصها!![1]

وهذا الدرس الذي يمليه علينا النورسي مستخلِصاً إياه من زُبدة تتبعاته في الحياة ليؤكد به أهمية الصدق، وكيف أنه يمثل مفتاح الفضائل، بينما يمثل الكذب أيضاً مفتاح الرذائل، يتفق تماماً؛ بل لعلّه ينطلق من فقه النورسي العميق لحديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" (رواه مسلم).

ولعل هذا الحديث الشريف كان مصباحاً من مصابيح حياة النورسي يقيس به -وعلى ضوئه- المواقفَ والرجال... ولعله من خلاله، ومن خلال تجاربه التي سماها "تتبعات وتحقيقات" لَفَظَ السياسةَ وكَرَهَها، وابتعد عن السياسيين؛

(١) صيقل الإسلام، بديع الزمان النورسي ص٥٠٦.

لأنه رأى بعينه كيف أن السياسة لا تنفصل عن الكذب والنفاق والتصنع والمداراة، وأن الصدق في مجالها عسير، ولا سيما بعد أن سيطرت عليها نظريات المصلحية (البرجماتية) و(المكيافيلية) التي ترى أن الغاية تبرر الوسيلة، حتى لو كانت هذه الوسيلة قائمة على تلال من الكذب والخداع والتضليل. وبعد أن أصبح الكذب والخداع خصيصتين مبثوثتين في كل جوانب السياسة؛ يَجريان فيها كما يجري الدم في الجسم!!!

وقد أصبح العالَم المعاصر منسوجاً من الأكاذيب في علاقة الحكام وأولي الأمر بمحكوميهم، وفي علاقة المعلمين والمربين بتلامذتهم، وبعلاقة بعض علماء الدين المنافقين بالأمة الإسلامية.

وفي مواجهة هذا الوضع الرهيب في كذبه وريائه ونفاقه يصرخ بديع الزمان النورسي قائلاً:

حبة واحدة من صدق تبيد بيدراً من الأكاذيب!!

إن حقيقة واحدة تهدم صرحاً من خيال.

فالصدق أساس عظيم وجوهر ساطع.

وربما يتخلَّى عن مكانه للسكوت، وإن فيه ضرراً، ولكن لا موضع للكذب قطعاً، مهما يكن فيه من فائدة ونفع!!

ليكن كلامك صدقاً، ولتكن أحكامك كلها حقاً... ولكن عليك أن تدرك هذا: إنه لا حق لك أن تبوح بالصدق كله.[1]

إنني أتخيل النورسي، وهو يدبج هذه الكلمات، وكأنه يضع دستوراً للساسة، وعلماء التربية والاجتماع، والدعاة إلى الدين والأخلاق (وبخاصة الذين لا يمثلون قدوة ولا يعملون بما يقولون).. إنه يتجه -بهذا الدستور المجلّي- لقيمة الصدق... كي يقفوا ضّد هذه الحضارة التي أصبح الكذب والنفاق والتصنّع جزءاً من كيانها الداخلي... بحيث أصبح من الصعب علاجها،

(١) الكلمات، بديع الزمان النورسي.

ولا طريق إلا بإقامة كيان إسلامي حضاري يقود الحضارة المعاصرة... بعيداً عن الرياء والكذب والتصنع!!.

ولكي يعمق النورسي في وعي المسلمين -الذين تقوم حضارتهم على "الصدق"- ضرورةَ الالتزام بالصدق، وعدم اتباع "الكفار" في اصطناع "الكذب" السياسي أو الاقتصادي أو التربوي.. مهما كانت تسميته الخادعة "دهاء" أو "سياسة" أو "دبلوماسية"؛ فإنه يقدم لهم "النموذج الأعلى" الذي يجب ألا يبتعدوا عن الالتزام به؛ إنه رسول الله محمد ﷺ -المثل الأعلى الكامل للبشرية في صدقه-..

لقد وقف النورسي وقفة تحليلية متأنية من "صدق الرسول"، ليس لأنه "الأسوة الحسنة" للمسلمين فحسب؛ بل لأنه "المثل الأعلى للإنسانية كلها"، فهو أول العظماء في التاريخ، كما ذكر الأمريكي "مايكل هارت".[1]

لقد كان صدق الرسول محمد ﷺ أزكى صدق عرفته البشرية، ولئن صح -في الإنسانية كلها- أن يُنعت إنسان بـ"الصادق" ويُعرفَ به على أنه لا يقل لصوقاً به عن اسمه؛ فإن هذا الإنسان لن يكون غير النبي محمد؛ قبل بعثته وبعدها، وفي كل ما أخبر به عن الناس.. فكيف بما أخبر به عن رب الناس، وخالق الناس!!.

ومن هنا كان تركيز النورسي على الصدق استلهاماً رائعاً من تاريخ النبوة ومن سيرة خاتم المرسلين.

ونحن نرى النورسي يُجلّي أهمية "الصدق" كأساس وجوهر للأخلاق؛ حين يستعرض الصدق الذكي العجيب الذي تفرد به محمد ﷺ؛ فصدق الرسول -كما يوضح النورسي- صدق في كل ما بلغ به عن الله، ماضيا كان هذا البلاغ أو حاضراً أو مستقبلاً.. فحديثه عن الأنبياء، وعن الأمم السابقة؛ لم يثبت قط -على كثرة بحث الأعداء والأصدقاء، من الباحثين الأكاديميين المتخصصين الموضوعيين- أنه معرض للتخطئة والتجريح، ولعل ما كتبه الجراح العالمي

(١) انظر كتابه: الخالدون مائة.. أعظمهم محمد ﷺ، نشر دار المعارف، مصر.

الفرنسي "موريس بوكاى" عن هذا الموضوع من الأدلة على ذلك.[1]

ونشير هنا إلى حادثة واحدة فقط للدلالة على عظمة صدقه في الحاضر -إلى جانب صدقه في الماضي- وهي موقفه يوم أن مات ابنه إبراهيم، وخسفت الشمس فقال المسلمون: إن الشمس قد خسفت لموت إبراهيم؛ فأخبرهم الصادق الأمين بحقيقة الأمر، وهو أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله؛ لا يخسفان لموت أحد... ولو كان يَسمح بأي كذب لاستغل هذا التوافق العجيب أو سكت!! وأما حديثه عن المستقبل، فصحابته رضوان الله عليهم شهود على صدقه العجيب؛ فقد قال لهم، وهو في مكة معهم؛ وليس لديه أية وسائل مواصلات، أو أجهزة إعلامية: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده"؛ فكان الأمر كما أخبر.

وأخبر ﷺ رسولَ كسرى: "أن الله سلَّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في وقت كذا.." فلما حقق ذلك الرسول "فيروز" وقتَ مقتل كسرى؛ أيقن أنّ قتله كان في نفس الوقت الذي أخبر عنه ﷺ، فأسلم بسبب ذلك.

وأخبر عن كتاب حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسله سراً إلى كفار قريش؛ فأرسل ﷺ علياً والمقداد -رضي الله عنهما- بأن في الموضع الفلاني جارية معها رسالة، فأتوني بها؛ فذهبا وأتيا بالرسالة من المكان الذي وصفه الرسول ﷺ.

وثبت أيضاً أنه ﷺ قال في عتبة بن أبي لهب: "يأكله كلب من كلاب الله"؛ فأخبر عن عاقبته المفجعة، وبعد مدة من الزمن ذهب عتبة متوجهاً نحو اليمن؛ فجاءه سَبُع وأكله؛ فصدق دعاءه عليه.

وبعد أن يورد النورسي عدداً من الأمثلة الأخرى؛ يعلق قائلاً: "وقد وقع كثير من أمثال هذه الأنباء الغيبية الصادقة، وذكرتها كتب السنة المتعددة مع أسانيدها، وهي قطعية الثبوت ويقينية، وقد نقلها البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن الكريم".[2]

---

(١) انظر كتابه: الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث، التوراة والأناجيل والقرآن، نشر دار المعارف، مصر.

(٢) المكتوبات، بديع الزمان النورسي ص١٤٠.

وهكذا -كما ذكر سعيد النورسي- كان صدق الرسول ﷺ صدقاً كاملاً في الجاهلية والإسلام.. في إطاره البشري -كإنسان- وفي إطاره النبوي -كرسول معصوم- وفي حديثه عن الماضي والحاضر والمستقبل؛ جملة وتفصيلاً..

وليس غريباً في ظل هذا الاهتمام من جانب النورسي بقيمة الصدق بخاصة، والأخلاق بعامة؛ أن نكشف أن النورسي إنما اعتزل الناس وترك الشؤون الدنيوية وتفرغ لفقه القرآن؛ بعد أن رأى مدى توغل الفساد والكذب في الحياة الدنيا كلها؛ وذلك في ظل حضارة مادية قائدة جعلت الكذب فناً وعلماً وممارسة مقننة على كل المستويات.

لقد وجه النورسي رسالته بأسلوب نثري بديع إلى من طالبه بالبقاء في معترك السياسة والحياة العامة، قائلاً لهم؛ بعد أن استخار الله، واتخذ قراره بالتفرغ لغرس بذور الإيمان بالقرآن:

لا تدعُني إلى الدنيا؛ فقد جئتها ورأيت الفساد.

إذ لمّا صارت الغفلة حجاباً، وسترتْ نور الحق.

رأيتُ الموجودات كلها فانية مضرة.

إن قلت: الوجود! فقد لبسته، ولكن كم عانيت من البلاء في العدم.

وإن قلت: الحياة! فقد ذقتها، ولكن كم قاسيت العذاب.

إذ صار العقل عقاباً، والبقاء بلاء.

والعمر عين الهواء، والكمال عين الهباء.

والعمل عين الرياء، والأمل عين الألم.

والوصال عين الزوال، والدواء عين الداء.

والأنوار ظلماتٍ، والأحباب أيتاما.

والأصوات نَعَياتٍ، والأحياء أمواتاً.

وانقلبت العلوم أوهاماً وفي الحكم ألف سقم.

وتحولت اللذائذ آلاماً، وفي الوجود ألف عدم.[1]

مستقبلنا المشترك: دين وأخلاق وعقل ومادة

من الطريف أنه بينما يشعر العالم كله في أيامنا بأزمة أخلاقية خانقة، يستوي في ذلك الغربيون والشرقيون على السواء؛ بعد أن أفسدت القوى العظمى البيئةَ المادية والمعنوية والنفسية، ودمرت العلاقات الاقتصادية والإنسانية العالمية، بل وشوَّهت الطعام والماء، ونشرت المبيدات والجراثيم التي أظهرت عشرات الأمراض التي لم يكن للبشرية عهدٌ بها، وقضت على نسبة كبيرة من القيم الدينية والأخلاقية!!

من الطريف -مع كل ذلك- أن هناك لجنة علمية عالمية للبيئة والتنمية -على مستوى رفيع- تأسست من عدد كبير من أقطاب السياسة العالمية والاقتصاد، على مستوى دولي. وقد وضعت هذه اللجنة لنفسها خطة حكيمة جديدة (!!) لإصلاح العالم، تلقت بموجبها توجيهات من أناس من مختلف مسالك الحياة.

وقد ذكرت اللجنة الدولية -أنها تتقدم بتقريرها لجميع الناس في العالم، كما ذكرت أنها عندما كانت تعمل لم تكن تحكمها القوميات والتقسيمات المصطنعة، ما بين بلدان "متقدمة صناعياً" و"بلدان نامية"، ما بين شرق وغرب؛ بل كان همها الانشغال المشترك بكوكبنا، وبالمخاطر البيئية والاقتصادية المتشابكة التي يعانيها هذا العالم بكافة مؤسساته وحكوماته.[2]

وقد اختارت اللجنة في اجتماعها الافتتاحي ثماني قضايا أساسية للتحليل في مجرى عملها وهي:

آفاق السكان والبيئة والتنمية المستديمة.

الصناعة: البيئة والتنمية.

الأمن الغذائي والزراعة والغابات والبيئة والتنمية.

---

(١) سيرة ذاتية، بديع الزمان النورسي.

(٢) انظر كتاب: مستقبلنا المشترك، إعداد اللجنة العالمية للبيئة والتنمية ص٢١، ٢٠ (سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٤١٠هـ.

المستوطنات البشرية: البيئة والتنمية.

العلاقات الاقتصادية الدولية والبيئة والتنمية.

أنظمة دعم القرارات لإدارة البيئة.

التعاون الدولي.[1]

ومن المؤسف أن هذا التقرير الكبير بذل فيه جهد ضخم، وقام على أمره رجال تولوا مهاماً جسيمة مثل رئيس -أسبق- لوزراء ألمانيا، وصدرت طبعات منه بعدد كبير من اللغات؛ ومع ذلك لم يكن له تأثير عملي يُذكر، وظهر كأنه جهد ثقافي فكري، وليس عملاً تطبيقياً يسعى أصحابه إلى تغيير العالم، وإنقاذه من التردي الخطير الذي ينحدر إليه!!

والسؤال الذي يجب أن يُطرح هنا: لماذا أصبحت البشرية في كل مستوياتها عاجزةً عن عمل شيء إيجابي لإنقاذ كوكبها الأرضي الذي أصبح غير صالح للحياة: مادياً ومعنوياً؛ بتأثير حركات الهدم اللادينية واللاأخلاقية؟.

إن غياب المنظور الروحي والمعنوي والقيمي، والتركيزَ على المنظور المادي -وحده- هو الذي يعطي آلة الهدم الجهنمية التي تركبها القوى العظمى، وتبدو كأنها حكومة الشيطان الخفية -تلك القوة التي تجعلها أكثر من غيرها- ذات تأثير إيجابي فعال وبارز، وهو تأثير يسلب الحياة الإنسانية مقومات وجودها الإنساني الحقيقية في كل يوم!!.

ومن خلال رؤية تحليلية يمكننا أن نقرر أن وراء هذه المحنة الإنسانية المعاصرة ظاهرتين أساسيتين سائدتين:

الظاهرة الأولى: هي شيوع المفهوم المادي والغرائزي والاستهلاكي والدنيوي اللاأخلاقي في الحياة؛ بحيث أصبحت الدنيا هي المحور الوحيد الذي يقوم عليه التخطيط للتنمية المحلية والعالمية، وغاب -بالتالي- المفهوم الأخروي والديني للحياة، وسيطرت -أمام هذا الفهم- فلسفات المنفعة واللذة

(١) المصدر السابق ص ٤٩٦.

obeikandl.com

وتحصيل السعادة الشخصية على حساب المجموع بكل الطرق، وكذلك الرقي الوطني والقومي على حساب الإنسانية، وتأجج الصراع بين سكان الأرض بعيداً عن تعاليم السماء وخوف الله والقيمِ الدينية التي تأمر بالرحمة والعدل والإحسان والصدق والإخلاص.

وأما الظاهرة الثانية فتتمثل في غياب أصحاب الدين الصحيح والحضارة القيمية الأخلاقية المتوازنة؛ التي لا ينسى أصحابها نصيبهم من الدنيا، لكنهم يبتغون الدار الآخرة ويراقبون الله.

وهاتان الظاهرتان قد غابتا عن وعي هؤلاء العلماء المخلصين الذين كتبوا الدراسة العلمية الرائعة عن "مستقبلنا المشترك"، فقد فاتهم النظر إلى طبيعة الإنسان ومفهوم الحضارة الصحيحة اللائقة بالإنسان، ومن ثم قام تحليلهم على النتائج والثمرات، ولم يقم على البحث في الأسباب والجذور والأعماق (!!) ونظروا بعين واحدة فتضخمت المادة ومفرداتها، وانكمشت -بل ذبلت- الروح والأخلاق والمعاني ومفرداتها!!.

ولو أنّ هؤلاء المفكرين الكبار الذين كتبوا هذه الدراسة قد أعطوا الجوانب القيمية والأخلاقية حقّها، ومزجوا بين ما هو مادي ومعنوي؛ لأخرجوا لنا دراسة مختلفة مشبعة بروح جديدة تؤدي إلى الطريق الصحيح لإنقاذ المستقبل المشترك للبشرية.

إن فهمهم المحدود للبيئة والتنمية على أنهما مجرد طاقة وزراعة وصناعة واقتصاد، هو الذي جرّد كلامهم من تأثيره وفاعليته في المجتمع الإنساني الذي يقوم على المعاني والقيم الأخلاقية والروحية بدرجة لا تقل عن الجوانب المادية من زراعة وصناعة وطاقة.. وغيرها!!.

ومن هذا القصور في الرؤية والعجز عن إدراك حقيقة الحياة الإنسانية فشل مشروعهم الكبير، وسوف تفشل كل مشروعات إصلاح الكوكب الأرضي الإنساني إذا ظلت الرؤية مادية محدودة على هذا النحو.

ومن العجيب.. بل إنه من التوفيق الرّباني.. ومن الفقه النوراني بالقرآن

وبإشاراته الحضارية المعجزة - أن يستطيع رجل يعيش حياةً بسيطة؛ شبه محاصر، بعيداً عن الوسائل العلمية العصرية التي تمتلكها الهيئات العلمية، وذلك منذ أكثر من نصف قرن..

من العجيب أن يصل هذا المفكر -وهو بديع الزمان سعيد النورسي- إلى تشخيص موضوعي كبير "للداء" الذي يسيطر على الكوكب الأرضي، ويصف في الوقت نفسه "الدواء" بطريقة علمية شمولية تنتظم ما هو مادي وما هو معنوي، وما هو جذر وسبب، وما هو ثمرة ونتيجة.

ويقدم -بالتالي- مقارنة رائعة بين أسس الحضارة "الأورو أمريكية" المادية التي تكاد تقضي بتركيزها "المادي" على مستقبلنا الإنساني المشترك، وبعد أن "حفرت القبور فعلاً للإنسانية حسب تعبير رجاء جارودي"،[1] وبين أسس الحضارة الإسلامية التي تملك العلاج الشامل (مادياً ومعنوياً) وتملك القدرة على الإقلاع الصحيح بمستقبلنا الإنساني المشترك.. بما فيه من مسلمين وغير مسلمين.. وصولاً إلى عالم جديد يصبح فيه كوكب الأرض صالحا للبقاء ماديا وأخلاقياً.

إن بديع الزمان النورسي يكتب مشخصاً "الداء" ومحدداً إياه في تلك الأسس التي تقوم عليها حضارة أوربا المادية ذات الرؤية العاجزة.. والتي لا يسعى أصحابها -للأسف- لتغييرها... أو علاجها؛ لتتفاعل وتستفيد من تجارب الآخرين الحضارية...

كما يكتب النورسي -كذلك- "روشتة الدواء"؛ والتي تتمثل في ضرورة اعتماد الأسس التي تقوم عليها حضارة الإسلام الجامعة، ذات الرؤية الشاملة، سبيلاً لنهضة المسلمين وإنقاذ العالم؛ عن طريق تفعيل هذه الأسس ونشر قيمها ورؤيتها في العالم كله بين المسلمين وغير المسلمين؛ لأنها الطريق الوحيد لبقاء هذا الكوكب الأرضي في مستواه الإنساني!!

يقول النورسي: إن أسس المدنية الحاضرة (الأوربية) سلبية، وهي أسس خمسة؛ تدور عليها رحاها:

---

(١) انظر: حفارو القبور،رجاء جارودي، نشر دار الشروق، مصر.

فنقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأنُ القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض ومن هذا تنشأ الخيانة.

وهدفها وقصدها: منفعة خسيسة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة: التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية.

ودستورها في الحياة: الجدال والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة.

ورابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين؛ وشأنُ القومية السلبية والعنصرية: التصادمُ المريع، وهو المُشاهَد؛ ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك.

وخامستها: هي أن خدمتها الجذابة: تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامها، وإشباع الشهوات والرغبات. وشأنُ الأهواء والنوازع دائما: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته؛ فتتغير بدورها الإنسانية وتُمسخ مسخا معنويا.

إن معظم هؤلاء المدنيين لو قلبت باطنهم على ظاهرهم، لرأيت فى صورتهم سيرة القرد والثعلب والثعبان والدب والخنزير.(١)

هذا هو الداء الأساس، وما نراه غير ذلك فهو من ثمرات هذا الداء وأعراضه.

أما "روشتة العلاج" فتتمثل في الالتزام بأسس مدنية القرآن الكريم؛ فهي إيجابية تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية.

فنقطة استنادها: الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائماً: العدالة والتوازن، ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء.

وهدفها: الفضيلة بدل المنفعة، وشأنُ الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة.

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات.

(١) الكلمات، بديع الزمان النورسي ص٨٥٥,

وخدمتها للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان ورفاهيتِه إلى ما يليق به، مع تنوير الروح ومدّها بما يلزم.

ورابطتها بين المجموعات البشرية: رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأخوّة الإيمان؛ وشأن هذه الرابطة: أخوة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية. وبهذه المدنية يعم السلام الشامل.[1]

ويقدم النورسي -في روشتة العلاج- بُعْداً آخر يقود البشرية في ظل العولمة اللادينية واللاأخلاقية إلى الهاوية؛ فبينما لا يَقبل القرآنُ الكريم النازل رحمة للعالمين إلا طرازاً من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية، نرى المدنية الحاضرة قد أَطلقت الأهواء والنوازع والشهوات من عقالها، حتى أصبحت الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية، وهكذا محيت راحة البشرية؛ إذ كان الإنسان في البداوة محتاجاً إلى أشياء أربعة، بينما أفقرته المدنية الحاضرة الآن وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة، حتى لم يعد السعي الحلال كافياً لسد النفقات، فدفعت المدنيةُ البشريةَ إلى ممارسة الخداع والانغماس في الحرام، ومن هنا فسدت أسس الأخلاق، إذ أحاطت المجتمعَ والبشرية بهالة من الهيبة ووضعت في يدها ثروة الناس فأصبح الفرد فقيراً وفاقداً للأخلاق.[2]

ولا حل إلا بالقناعة الإسلامية والزهد وشيء من التقشف ومقاومة التكاثر المادي المدمر والأخلاق الإسلامية المتوازنة التي تجمع بين الدنيا والآخرة.. إلى غير ذلك من القيم الإسلامية الحية المبثوثة في كل التراث الديني السابق، والمنسجمة مع فطرة الإنسان ومكانته.

وبهذه القيم الدينية والأخلاقية يتحقق التفاهم بين البشر، ورأبُ الصدع في ذلك العالم الممزق!!.

---

(١) المصدر السابق ص٨٥٦.

(٢) المصدر السابق.